في الغار

للأستاذ محمود غنيم

« ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن . إن الله معنا »
(قرآن كريم)

مَن ذاك السارى على وَجنائه ... يطوى الدُّجى ويَخُب فى أحشائه
فى قِلَّةٍ من صحبه ، لكنه ... فى فيلق من عزمه ومضائه
ما ضرَّه حَلَكُ الظلام وقلبه ... يتألق الإيمانُ فى أرجائه
الصبر والتسليم حَشوُ إهابه ... والهمّ والتصميمُ مِلءُ ردائه
ينسابُ فى آثاره أعداؤه ... وحمامةٌ تنجيه من أعدائه
لو يُحسِنُ الترحيبَ طيرٌ أعجمٌ ... هشَّ الحمام مرحِّباً بلقائه
أخفاه نسجُ العنكبوت ولم تكن ... أُسْدُ الشرى تقوى على إخفائه
جاء النَّفيرُ بخيله وبرَجْلِه ... تتزلزلُ الصحراء من ضوضائه
نفرت وحوشُ الغاب خشية بأسه ... ومحمدٌ كالطَّود فى إرسائه
ما طوَّفت أشباحُهم بخياله ... إلا طوافَ الحُلْم فى إغفائه
ضاق الفضاء بهم وصدرُ محمدٍ ... ما ضاق فى اللأْواء رَحْبُ فضائه
كهفٌ كَكِفَّةِ حابل فى طيِّه ... صدر يتيه الظنُّ فى بيدائه
نزلت عليه سكينةٌ من ربِّه ... ففؤاده مستسلم لقضائه
ما همُّهُ نفسٌ يريد نجاتها ... بل مذهبٌ يسعى إلى إعلائه
غرماؤه شدوا إليه رِحالهم ... واللهُ كان أشدَّ من غرمائه
ضلُّوا فلم تأخذه أعيُنهم ولم ... تمتدَّ أيديهم إلى إيذائه
وكذاك شاء الله نُصرةَ عبده ... وارتدَّ شانِئُهُ بوجهٍ شائه
ما كان أوفى صاحبين كلاهما ... يَفدِي أخاه مرحِّباً بفدائه
سَهْلٌ عليه أن تسيلَ دماؤه ... ويفوزَ صاحبُه بحقن دمائه
غار يضلّ النجمُ فى دَيْجوره ... لا فرق بين صباحه ومسائه
لا يأمنان النابَ من ثعبانه ... أو يأمنان الذيلَ من رَقْطائه
لا أرضُه الجدباء مُثمرة ولا ... فى صخره نَبْعٌ يجود بمائه
قضيا النهار على الطَّوى فى جوفه ... وتقلَّبا ليــلاً على حصبائه

* * *

قم سائل الصِّدِّيقَ ماذا صدَّه ... عن ماله وثناه عن أبنائه ؟
وعلامَ يضربُ فى المهامه هائماً ... فى سيره كابن السبيل التائه ؟
ما بين ليلٍ حالكِ الأسحار أو ... مُستقبَلٍ كالليل فى ظلمائه
ما بين شـدة رُعبه ويقينه ... يَنْبَتُّ أو يمتدُّ حبلُ رجائه
لم يخشَ إلا أن يُصابَ محمدٌ ... بأذى فيفنى دينُــه بفنائه
عجبى على الصِّدِّيق، ماذا يتقى ... واللهُ ربُّ العرش من رفقائه ؟
ما أصدقَ ابنَ أبى قُحافةَ صحبةً ... لمحمد عنــد اشتدادِ بلائه